العهد الفينيقي القرطاجي في شمال افريقيا

إنَّ تاريخَ الجزائرِ ضاربٌ بجذوره في أعماقِ التاريخ، من العهد الحجري القديم إلى الآن. وقد تعاقب على هذا الوطن، بعد العهد الحجري وقبل الفتح الإسلامي، خمسُ أممٍ عظيمة : البربر و هم السكان الأصليون ثم الفينيقيون، فالرومان، فالوندال، ثم الروم فالبيزنطيون.
وتاريخُ هذا العصر يشمل تاريخَ شمالِ إفريقيا كلِّه، وما الجزائرُ إلا جزءٌ منه، وهي متشابهةٌ جغرافيًا وتاريخيًا، فهي وحدةٌ لا تتجزأ رغم جميع الاعتبارات السياسية.

1-الفينيقيون في شمال افريقيا :

الفينيقيون أمةٌ شرقيةٌ متشعّبةٌ عن الفرع الكنعاني السامي، وينتسبون إلى وطنهم فينيقيا بآسيا الصغرى، غرب بلاد الشام، بين جبال لبنان والبحر الأبيض المتوسط. وهو مكان ضيّق يبلغ طوله 200 كم وعرضه 30 كم، ومن أهم مراسيهم: بيروت، طرابلس الشام، صيدا، وصور.

وقد ظهر الفينيقيون في تلك الأرض وعُرفوا بها منذ 3000 سنة قبل ميلاد المسيح. وكان الفينيقيون قوماً تُجّاراً مولعين بالأسفار وركوب البحار، فبرعوا في الملاحة حتى أصبحت لهم السيادة فيها، وأنشؤوا أسطولاً ضخماً أخذوا يغزون به ويكتشفون بحار الأبيض والأحمر والهندي والأطلسي.

وتركّز نشاطهم خاصة في شواطئ شمال إفريقيا الغربي، فتعرّفوا على هذه المنطقة، وربطوا مع أهلها علاقات صداقة شخصية وتجارية، أتاحت لهم تأسيس عدد من المراكز والمحطّات التجارية والوكالات والمصارف ذات الصبغة الاقتصادية، التي أصبحت فيما بعد مقرّ إقامة للجاليات الفينيقية.

ولم يتوقّفوا عند هذا الحد، بل قطعوا أعمدة هيراكلوس (أي مضيق جبل طارق) إلى شبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا)، وأسّسوا هناك مدينة قادس حوالي 1110 قبل الميلاد، واتخذوها مركزًا لجلب الفضة والنحاس والقصدير، الذي كانوا يحضرونه من جزر القصدير جنوب بريطانيا. وفي طريقهم من صور إلى قادس أسسو العديدُ من المراكز التجارية التي مارسوا من خلالها نشاطهم التجاري، وتبادلوا مع الأهالي مختلف السلع؛ فكانوا يحضرون لهم الأقمشة الصوفية والحرير والزجاج والأواني الفخارية والخمور والأسلحة، ويأخذون منهم الأصواف والجلود والعاج والمواشي والعبيد. واقتصر نشاطهم واهتمامهم على التجارة التي كانت تدرّ عليهم أرباحًا طائلة، صرفتهم عن فكرة الاستيطان والاستعمار، وحالت دون تدخلهم في شؤون الأهالي الخاصة.

ولقد بقي هذا الوضع عدة قرون، حتى بدأ اليونان يغزون شمال إفريقيا بأساطيلهم، ويرتادون في شواطئه مراكز العمران، وذلك حوالي القرن التاسع. فبدأت المتاعب تظهر، فتعرقلت التجارة الفينيقية، وتعرّضت أساطيلهم للأخطار، كما تعرّضت مدينة صور الفينيقية في الشرق لهجمات الممالك المجاورة، وأنهكتها الخلافات الداخلية. فاضطر العديد من أشرافها وأسرها إلى الهجرة إلى إفريقيا، وبذلك يدخل الفينيقيون طورًا آخر، هو **طور الاستقرار**

وتأسيس مدينة قرطاجنة.

وتعود قصة تأسيس هذه المدينة، حسب المؤرخين، إلى امرأة تُدعى **عليسة (ديدون)**. فعليسة هو اسمها، وديدون وصفٌ لها، معناه: الفارّة (الهاربة). وفي سياق خبرها أن الملك «مَطان» ترك ابنًا يُدعى بيغماليون وبنتًا وهي عليسة بعد أن مات حوالي 830 قبل الميلاد. فاعتلى بيغماليون عرش أبيه تحت وصاية أخته عليسة التي تزوّجت أحد أكبر الكهنة، وكان ثريًّا، فاغتاله **بيغماليون** ليستحوذ على أمواله.
لكن عليسة احتفظت بأموال زوجها وفرت بها إلى ليبيا، فاشترت من البربر مكان قرطاجنة

2-الحروب الصقلية والبونيقية:

إن المتتبّع لتاريخ هذه الدولة، أي فينيقيا، يعلم أنها لم تدخل حربًا قط إلا مُكرهة. ومن هذه الحروب ما اشتهر في التاريخ بالحروب السيقلية والحروب البونيقية.

1-الحروب الصقلية :

دامت أكثر من قرنين، من **536 إلى 306 قبل الميلاد**. وكانت ضد اليونان بسبب مزاحمة هؤلاء للحكومة الفينيقية في منتوجات البلاد الخاضعة لنفوذها في صقلية. وقد كان النصر فيها لقرطاجنة.

2-الحروب البونيقية:

كانت ضد الرومان الذين اعتدوا على سيادة قرطاجنة، وحاولوا التدخّل في شؤون الوطن والتصرّف في اقتصادياته. فنهضت قرطاجنة مدافِعة عن شرفها، فخاضت غمار البحر، وقطعت جبال الألب، وحاصرت روما حتى كادت أن تقضي على دولة الرومان.
عندها اشتد تكالب هؤلاء الأعداء، وثارت ثائرة حقدهم، فهاجموا قرطاجنة في ثلاث دفعات من **264 إلى 146 قبل الميلاد**:

أ- الحملة الأولى (264 – 241 ق.م):

انتهت هذه الحملة باستيلاء الرومان على صقلية وعلى أهم جزر البحر الأبيض المتوسط، وكانت هذه الجزر هي سبب النزاع.

ب- الحملة الثانية (218 – 202 ق.م):

خسرت فيها قرطاجنة جميع مستعمراتها في إسبانيا وفي جزر البحر الأبيض المتوسط. وكان سببها رغبة قرطاجنة في استرجاع ما سلبته منها روما، وانتقامًا لشرفها.

ج- الحملة الثالثة (149 – 146 ق.م):

كانت من طرف الرومان خوفًا من انتشار نفوذ الملك البربري ماسينيسا، ورغبةً في الاستئثار بالقطر والقضاء على دولة الفينيقيين. وفي هذه الحملة تمكّن الرومان من القضاء على دولة قرطاجنة والاستيلاء على ممتلكاتها الإفريقية.

و لقد رد الؤرخون جميع أسباب الانهزام الذي لحق بقرطاجنة الى انقسام الحكومات يومئذ الى حزبين
حزب السلم الذي كان يهدف إلى جمع المال والثروة
حزب المحاربين
فذهبت الدولة ضحية هذا الخلاف.